يا بانوراما

قصة جديدة بقلم مارون عبود

اول ما يواجهك في ذلك البيت العتيق فراش ممدود حدّ صندوق دهري اطول منه . صندوق ألبسته الأيدي التي عاورته ثوباً دسماً فتنكّر تحته خشبه . في خواصر ذاك البيت للبناني القائم سقفه على ثلاث قناطر ، دُقت اوتاد هنا وهناك كانت هي (البورتشابّو) في ذلك الزمان .

أما أروع ما في صدر ذلك البيت فرفّ خشبي وضعت عليه قوارير فخارية مختلفة الاشكال ، وشماعدين ، وثريات للشموع البيضاء والصفراء ، وسُرج وقناديل تضاء امام صور وايقونات وصلبان ومسابح تكاد تشغل مساحة لا تقل عن اربعة اذرع طولاً في اربعة عرضاً ، فيخال الداخل الى ذلك البيت انه امام مذبح لا ينقصه إلا (بيت الجسد) .

وكان مندساً في ذلك الفراش هيكل بشري ما فيه إلا العظم والروح والجلد . اخذت الايام من عرض اكتافه فدق واستطال ، وأما لحية ذلك العملاق فظلت محافظة على ابهتها ولم تخسر منها إلا مقداراً زهيداً لا ينقص من مهابة الشدياق ولا يحط من قدرها . عمّر الشدياق اسطفان كثيراً ، فعزا العوام طول حياته الى عفته ، فمنهم من يؤكد انه ما اشتهى امرأة قط ، ومنهم من نزّهه عن ذلك تنزيهاً . ولولا زجر الخوري للغلاة لقالوا : انه حُبل به ، ايضاً بلا دنس ...

وكانت امرأة طاعنة في السن من نساء القرية تنظر الى زوجها الشيخ وتصرّ شفتيها وتسكت كلما سمعت ما يقول الناس عن الشدياق ، ولا تزيد على القول : أعرفه عندما كنا وليدات نرعى المواشي .

وفي ليلة عيد الميلاد سنة الف وثمانمائة و ... كان الشدياق اسطفان قد فات التسعين ، فتململ في فراشه بعد ظهر ذلك النهار ، فتنبهت ابنة اخيه مرتا الى همهمته ، فهي تنتظر الساعة ، والانتظار صعب . فمغمغ قائلاً : مرتا ، هاتي اسقينا .

وأخذ الابريق بيديه الثنتين ، ومع ذلك لم يحكم توجيه انبوبته الى الهدف فشرب هو واللحاف . ولما أبطأ لهاثه تنهد وقال :

— سامع حسّ ناس ، من عندنا يا مرتا؟

— عندنا متّى يا جدي .

— متّاه ، كيف الطقس ؟

— الشمس مريضة يا عمي ، ولكن النهار دافي جداً .

— وهذا الذي جاء من اميركا ايش خبّر عن الغائبين ؟

— الليلة يسهر عندك مع الضيعة .

— اهلا وسهلاً . سمعت يا مرتا ؟

— نعم سامعة . النقل حاضر .

واخذ الشدياق ينسحب من تحت لحافه رويداً رويداً ، وبعد جهد قعد في فراشه فبدا حين تكوّم كأنه كرسي عمود في قلعة متهدمة . واراد النهوض فعجز ، ولكنه تماسك وابتدأ يصلي وهو يحاول شدّ صرمايته التي لم يرق لها ان ينتعلها . وظل يعالجها ويتلو صلاته بحرارة ، حتى استظهر عليها ، فمشى اذ ذاك يجر رجليه وكأنهما ليستا منه ، ولولا تقوس ظهره لخلته ماردا افلت من قماقم سيدنا سليمان . لحية بيضاء كانها صوف فروة عتيقة ، اصبحت خصلها جدائل لما بينها وبين المشط من عداوة فهي بنت عم شعر الشنفرى لحاً ، واذا ارتفع نظرك عنها قليلاً وقع على حاجبين كانهما رفرف فوق انف مروّس معقوف كمنقار نسر .

كان ملبوس الشدايقة غنباز اسود ، ولكن الهرم الذي اعترى غنباز الشدياق اسطفان اخذ الكثير من لونه وحلت محل اقلامه انهار من الحواء نمت عن بطانة بيضاء . ومشى الشدياق غير محكم الزنار ، فتجمع برداه عن يمين وعن شمال كستار مسرح مفتوح نصف فتحة ، اما الممثلون فقد تواروا واضمحلوا . وما بلغ الباب القبلي حتى انهار على فروة مدّت له ، ثم اخذ يستوي على مهل حتى تمثل بشراً سويا . واستند الى حائط البيت رازحاً تحت اثقال التسعين التي تمطت بصلبها وناءت بكلكلها على منكبيه .

ونظر الى الطبيعة بعينين جفت ماويتها فرآها صفراء مغبّرة فقال : « عجيب ؟ ما كانت هكذا منذ ايام » وحك صلعته كمن يشغل باله امر خطير ، واطرق اطراقة طويلة . ورفع رأسه فاذا بدمعة تكرج في ثلم من وجنته لتنهار عند مدخل لحيته .

وطفق الشدياق يجهش ثم تعالى بكاؤه فلفت انظار العابرين والعابرات . وشاع في القرية ان الشدياق اسطفان يبكي ، وهو من لم يُر قط باكياً فتضاربت في ذلك اقوالهم .

رأى الشمس جانحة لتتوارى خلف الجبل فانتحب . ادرك

انه الى ما تصير اليه صائر ، فراح يناجي نفسه : « هي تغيب وتشرق اما انت يا اسطفان فالى ظلمة القبر . لا شروق ولا غروب » . انه يضيق صدره وهو في فراشه اللين ، فكيف به متى وسدوه التراب ؟ انه يبرد ، وهو نائم حد الموقدة ، فكيف به متى نام في قلب الارض حيث يبقى في ظل الموت الى الابد؟

ورأى نصف قرص الشمس قد اوشك ان يتوارى خلف الجبل فارسل زفرة حرى ، واخذ يتحلحل ليعود الى مرقده قبل ان يختفي كانون الله ، ويقرصه البرد .

وما ذكر الله والعذراء عند نهوضه حتى عاد اليه ايمانه بالخلود والحياة الابدية ، فتشدد ونسي البكاء . ذكر ان المسيحي الصالح لا يموت ، بل ينتقل من وادي البكاء والدموع الى دار النعيم حيث يتمتع برؤية الله وجهاً لوجه . ثم عاودته نوبة الشك فانخرط في البكاء وقال : « هل بعد الشقا بقا ؟ .. ترى نعيش ليوم عيدك يا مار مارون ؟ آه يا حبيب القلب ! نلتقي ياترى ؟ من يعلم ؟ .. » وبينما هو غارق في تلك الظلمة سمع صوت امرأة تناديه :

ـ اسطفان ، ضيعت ايمانك بالحياة الابدية !!

فتلفت فلم تقع عينه على احد فقال في قلبه : « مؤكد ، هذي العذراء مريم ، من يقول لي هذا ، غيرها ؟ » ثم التفت وخاطبها كأنه يراها : « لا تواخذيني يا ستي السيدة . الآخرة مخيفة ، والموت يفزع . عذري معي ، ابنك بكى في البستان . انا متكل عليك ياحنيبتي . تعبنا وشقينا حتى نرى وجهك الحلو . لا تخيبينا . »

وخاف الشدياق ان يعتب عليه الله فاستوى ما استطاع مادّاً بصره الى فوق وقال يناجيه على صوته : « يا صاحب الخيمة العالية ، يامن تعيش في النعيم ، ويمجدك الكاروبيم والساروفيم ، ماذا عندك للشدياق اسطفان الذي قضى حياته متبتلاً ؟ هل تحاسبه على كل هفوة ؟ الا تتساهل معه ؟ الا تدخله اخدارك السماوية بعد ان عاش تسعين سنة تحت مظلتك الكبرى لا يهمه الا طاعتك ؟ارحمني يا الله كعظيم رحمتك . ما ارعب ساعة الميعاد يا الله ! قلبي يدقّ ، انا خائف جداً . شددني يا الله . الشيطان يجربني . دائماً . اينما رحت اراه حاضراً . تفّ له . ما ابشع وجهه ، وذنبه وقرونه ! . »

وتذكر الشدياق انه امسى ، فراح يرتّل وهو ماش الميمر السرياني : «برمشو صليبوخ روشيمنو عل هادو ماي» .. الخ .

وكان متى ومرتا قد اضرما النار في الموقد فحمي البيت ، وارتمى الشيخ ليتربع قرب النار . شيخ منودل ، ينوص كرقاص الساعة . نسي الشك والفزع حين تدفأ . ولذعته النار قليلاً فتجهم وجهه وانقبض كأنه رأى في الموقد نار جهنم . تذكر عواقبه الاربع فارتاع وانكمش . وغلا اللهيب فخال انه يرى من خلاله شبابيك الجنة مفتوحة مضاءة ، فتهلل وتذكر علّيقة موسى التي اشتعلت ولم تحترق ... فانحرف فكره عن نيران الجحيم . اذن في النار ذكريات طيبة للمؤمنين ، فما باله ، وهو الرجل الصالح الذي راض نفسه على الفضائل المسيحية يفكر هذه الافكار السوداء ؟

لا شك في ان ابليس يجرّبه ليقطع امله ويتزعزع ايمانه في اخريات حياته ، فصلّب على وجهه مرات ، وخرج من جو تلك الافكار التي خاف منها ، وصاح : « مرتا بخّري الصورة » .

فنهضت مرتا بمجمرتها ، تبخر الصورة فملأت رائحة البخور الجوري البيت ، فتنشقه الشدياق وهو يهتف : « إخّتايه ... » صار كصوفي اسكرته المشاهدة ، حتى خيل اليه انه يرى في دخان المبخرة الصاعد سلماً مثل سلم يعقوب يرتقي به الى سموات ذي العرش ، فأخذ يرتل بصوت رخيم لا ارتجاف فيه ولا اهتزاز كأنه ابن اربعة عشر :

انت الشفيع الاكرم عند ابنك يا مريم

وما انتهى من انشاد هذه المديحة حتى صرخ :

ـ يا بنت ، ما بخرت صورة مار مارون .

وبخرت البنت ورتل هو : «لك شرف مفرد كبدر الضيا...» وأومأ الى متّى فشاركه في ترتيلته التي لم يصرم حبلها الا الفراق ... وما ارفض موكب صلاته الحافل ، حتى عاد الى قعدة الاربعاء وهو يقول : « ترى يكون لنا حظ ونسمع تهاليل الساروفيم ونرى الراكب على الكاروبيم ؟ ما احلى هاتيك الساعة ! قريباً نلتقي يا مار مارون » .

وقدمت له مرتا العشاء وفيه ما تحرمه الكنيسة في صوم الميلاد ـ وهو ابن تسعين يحل له اكل كل طعام ـ فكفّ عنه يده ونفسه تشتهيه . لم يأكل إلا بضع حبات من الزيتون ورأس ثوم شواه . ولماذا الاكل ، أليحرم الاجر ؟ غداً نأكل ان شاء الله اللحوم والالبان ، فديوك الميلاد تغلي على النار ، وتغني في القدور كأنها جوقة ترتل : المجد لله في العلا ...

وقال لمرتا وهي ترفع الصينية : « غداً نأكل مع الضيعة

من طعام العيد . » فمنذ صار الشدياق ذلك الشيخ الجليل الذي تقبل الناس يده ويلتمسون دعاءه وبركته ، اخذ يدعو اهل الضيعة الى مأدبة الميلاد التي يعدها لهم كل عام .

وعاد الشدياق الى فراشه واختبأ بلحافه ، ووفدت اهالي الضيعة عليه . المسنون يمسّونه بالخير نصف ساجدين . تتحدر ايديهم من قمم رؤوسهم لتستقر على ساحات صدورهم الرحبة . والصغار ينكبون على يديه يقبلونها ، وسيّان عندهم اليمنى او اليسرى . وجلس الناس سطوراً سطوراً ، حوله وبين يديه ، وطغت على البيت رائحة منبعثة من مصابيح الزيت المطفأة فأخذ بخناق الشيخ سعال ديكي ولو لم يسرع احدهم الى فتح الابواب لكان فطس وذهب مأسوفاً على شبابه ...

وساد البيت سكوت رهيب ، لم يكن يسمع صوت نابس ، فكأن الناس في صحراء لا انيس فيها ولا جليس ، الجميع يتطلعون الى الشدياق بعيون مفتحة ، والشدياق يحرك شفتيه الراقصتين ، يتمتم ولا يبين . واخيراً انشق فمه وخرجت منه هذه الكلمات : « هذه ليلة مباركة يا اخوتي ، فيها ولد سيدنا يسوع المسيح بمذود البقر ليعلمنا التواضع . علينا ان نولد مثله كل سنة ، لأنه لاسمه السجود قال : الذي لا يرجع الى بطن امه ويولد ثانية لا يستحقني . والولادة الثانية معناها ان ينظف الانسان نفسه وجسده حتى يعود طاهراً نقياً كالمولود جديداً » .

فهز الرجال رؤوسهم اعجاباً ، وتنهدت العجائز متأسفات على مواهب الشدياق كيف ضاعت ولم يصر كاهناً . اما خوري الضيعة فكان يؤمّن باعجاب على كل ما قاله الشدياق ، ويتحسر في قلبه على قيراط من فصاحة الشدياق ... ثم يقول للذين حوله : « هذا رجل قديس ، المثل الصالح ابلغ واعظ ، وشدياقنا طاهر نقي مثل الاباء الابرار . »

وقبل ان يتوغل الشدياق في موعظته دخل المغترب الخواجا توما فهمس بعضهم : « جا . جا . » وظل سمع الشدياق صادقاً ، فسأل : « من الذي جاء ؟ » فخبروه . والتفت الشدياق فرآه فهتف بلا شعور : « بسم الاب والابن والروح القدس . هذ هو الشيطان . لا ينقصه إلا الذنب . »

وتقدم منه الخواجا توما بزيه الفرنجي الذي لم تر الضيعة مثله من قبل لأنه اول من هاجر وعاد ، فكاد الشدياق يتراجع لو استطاع ولكن الجدار خلفه . وسلّم توما سلام الاميركان فكاد يخلع يد الشدياق الهزيلة . لم يرق للشدياق ذلك السلام

من التحرير

ورد الى المجلة عدد كبير من المقالات والقصص والقصائد لهذا العدد الخاص . ولكننا نعتذر عن عدم تمكننا من نشر هذه المواد كلها في هذا العدد ، كما نعتذر عن الغاء الابواب المعتادة . وموعدنا بذلك في العدد القادم .

الخارج عن حظيرة الاحترام التي اقامتها القرية حول شدياقها ، ولكن كل شيء مر بسلام . وقعد السيد توما قعدة بلادنا ؛ جلس على طراحة في صدر الحلقة فتضايق وكاد بنطلونه ينشق ، فقام ابن عم له وبنى له مقعدا من المساند ، والشدياق ينظر وقد غاظه خروج المساند من صفها ، ولا سيما ان الخواجه توما جلس ولم يحتف كالآخرين . ما خلع نعليه حين داس البلاس الذي يصلي عليه الشدياق ويقبله مرات حين يسجد . وزادت في الطين بلة حركات توما وسكناته الغريبة الدار . لم تعجب الشدياق حركات توما وسكناته ، وكان يجن حين يسمع منه بعض الفاظ اميركية مثل : يس ، وتنكيو ، وفاري كود ، وغود نايت وغيرها ، ولكنه احتمل ذلك وهو يتمتم : « مع آلامك يا يسوع . » ما صبر الشدياق هذا الصبر إلا ليسمع من المستر توم اخباراً جديدة بلغته عنه . فقال الشدياق : « توما ، أية ساعة جئت ؟ »

— امس الظهر يا عمي .

— لا تواخذني ، ما قمت بالواجب . عذري واضح ومقبول .

— يس ، يس ، القصد مشاهدتك . الحمد لله شاهدناك بخير .

— كيف تركت جماعتنا ؟

— الجميع بخير ، يسلمون عليك .

فنكزه واحد ووشوشه : « قل ويقبلون ايادِيك الطاهرة » ففتح توما فاه ليقولها ، ولكن السبق كان للشدياق الذي قال : « وكيف أحوالهم الروحية والمادية » .

— بألف خير ، صاروا شبعانين كلهم .

وسكت الشدياق وهز برأسه ، وظل يحرك شفتيه ، ولكنه لم يقل شيئاً .

وأشار أحدهم على توما ان يخبر الشدياق عن الموارنة ويطريهم ففعل ، فقال الشدياق : ما داموا متمسكين بمارونيتهم لا خوف عليهم .

— يس ، عندنا كل شيء ، كنائس ، مدارس ، خوارنة ،

إذا رأيتهم حسبت أنك في لبنان .

– عال ، عال .

وانقشعت الغمامة عن وجه الشدياق وأخـذ يتغنى متهللاً بنشيد مار مارون الذي يعرفه كل قروي ماروني ، فسانده الجمهور في تلك الرحلة الشاقة إلا توما فكان مثـل الاطرش في الزفة .

وما انتهى الشدياق من نشيده حتى فتح توما فمه ليحكي ، فأومأ اليه الشدياق بجمع كفه ان يمهله ليأخذ النفس . واخيراً قال توما : « سمعتك عند وصولي تحكي عن الميلاد : آه يا عمي لو عينك تنظر هذه الليلة في النايرك .. هذي عندنا في النايرك وفي اوربا ليلة عظيمة جداً . أحسن الهدايا تقدم للاولاد ، سي، الأغنيـاء يعطون الأولاد الفقراء كل شيء . المأكولات ، الملبوس ، اللعب ، آه لو عينك تنظر يا عمي ، كل بيت يعمل شجرة تكلفه المبلغ المرقوم، وفي هذه الشجرة أشكال وألوان.» ثم هز توم رأسه وقال بملء فمه اللاطي تحت شاربيه : « فاري كود الكرسموس في إماركا . »

فقال الشدياق : ايش دين هذي الشجرة ؟

– هذه شجرة الكرسموس ، يعني الميلاد يعلقون فيهـا الملائكة والشموع والشريط من كل لون ، علب شوكولا ، وبسكوت ، وكاتو .

فقال الشدياق متعجباً :« أسامي غريبة ؟ ؟ ولأيش كل هذا؟»

– إكراماً للميلاد .

– تبارك اسم سيدنا المسيح ، واصل خبره هناك ؟ اذن في البلاد التي كنت فيها ناس تعرفه مثل الموارنة ؟

– يس ، يس .. معلوم ، كلهم نصارى يا عمي .

– هذا حدّ علمي ، عال عال .

– يا ليتك تعرف كيف يتصورون الميلاد ؟

– هات خبرنا ، ولكن قوس حنكك مرتخ . شـدّ البراغي واحك .

فضحك المستر توم وقال : « تعودت اللفظ الاميركاني » ، ثم صرّ بوزه قليلاً وقال : « يتصورون الميلاد شيخاً كبـيراً لحيته لزناره ، وشواربه شبر وأكثر ، يحمل عـلى ظهره كيساً فيه هدايا للأولاد العاقلين . فينام جميع اولاد الاميركان تلك الليـلة منتظرين هدايا سانت كلوز (بابا نويل) الذي ينزل الى البيت من المدخنة ... وفي الصباح يكون تحت نخدة كل ولد منهم سكربينة جديدة فيها ملبس واعب واشياء اشياء . »

فهز الشدياق رأسه وصاح : « يه ، يه ، يه ، صـار الميلاد بياع سكربينات . المسيح الذي قال : من لا يدخـل من الباب فهو لص وسارق ، ينزل من المدخنة !.. ما شاء الله عن بلادكم يا ابني ، كل شيء فيها ينمسخ . نعم ، كل شيء ... انت مثلاً، رحت توما ورجعت توم وتومي.» وقال باستهزاء : « تعرف يا مستر توم حكاية الميلاد عندنا غير حكايته في بلادكم . اسمع يا ابني حتى اخبرك : كان في ضيعتنا خوري اسمه الخوري نصر الله . كان متزوجاً وماتت خوريّته بلا اولاد ، والخورية مثل الصنوبرة ، إذا انقلعت لا تفرخ كما تعرّف . وهذا الخوري كان من اغنياء الضيعة الكبار ، وليس له اخوة حتى يأخذوا التركة . وهو في الوقت نفسه رجل تقي عمّال خير ، يريد ان يوزع املاكه على المحتاجين . كان يعظ يوم احد النسَبـة – أظن ان اميركا نسيتك احد النسَبة ، هو الاحد الذي قبـل الميلاد – كان يعظ يوم هذا الاحد ويوصي الناس ان يكونوا انقياء ويسيروا بخوف الله لتحل عليهم بركة الميـلاد ، ثم ينتظر عتمة ليلة عيد الميلاد ليحمل كيساً من الدراهم الى عائلة فقيرة ، ولهذا كان يقول لهم ، من يعتقد انه يستحق بركة الميلاد فليردّ بابه ردّاً . وهكذا كان كل سنة يقصد بيتاً ليترك فيه الكيس لتلك العائلة . وبقي يعمل ذلك سنين . واخـيراً عرف الناس ان الخوري هو الذي يحمل اليهم ذاك الكيس فصاروا يسلكون سلوكاً حسناً ويصلون الى الله لتحـل عليهم بركته مع هـدية الميلاد . هذه حكاية الميلاد عندنا لا حكاية ميلاد اميركانك الذين صيّروا الطفل الالهي لعبة اولاد . قالوا ان اميركا فيها جنون كثير فما صدقت لولا هذه الخبرية . »

واندحر المستر توم في هـذه المعركة فأراد فتح جبهـة ثانية ، فراح يحـكي عن جورج واشنطـون وتحريره اميركا . فصاح الشدياق وكان صدره قد امتلأ غيظـاً : « من هذا جرج

صدرت الطبعة الثانية من

كوخ العم توم

للكاتبة الاميركية هارييت بيتشر ستاو

نقلها الى العربية

منير البعلبكي

الثمن ٢٠٠ ق دار العلم للملايين

ليلة في القرية

..ومضيت أعصر من سنيني قطرة ... بيضاء .. في افق الحياة الغائم
في الريف .. بين الكادحين يسوقهم ... قدرٌ وراء الكون .. فوق العالم
وخطىً تمرُ على بقايا قصة .. ... من دمع محروم .. وقسوة حارم
وعلى جدار الكوخ ترقد ظالمة ... ممسوخة .. كطلائه المتشائم
وجلست بين المتعبين .. ورفرفت ... روح المساء على الجدار القاتم
في ليلة ظمأى .. تحنّ نجومها .. ... للفجر .. للشفق الغريق العائم

★

وتوافدوا يتسامرون واقبل الأ ... طفـــال في مرح هنيء باسم
ويثرثرون .. ويفتحون عيونهم ... في ضوء مصباح هزيل نائم ..!

★

والليل عند الكادحين : خرافة ... وبقية من ذكريات ملاحم
وخيال كذابين .. يغمرهم رضى ... ومنى مزيفة كدمع الظالم .!
هي ذكريات حلوة .. موهومة ... ورؤى من الحقل السعيد الحالم
عبروا على أطيافها .. في نشوة ... يتسمعون خطى الصباح الناعم

★

وسمعت قصة الف عام لم تزل ... تطوى لتنشر في الشتاء القادم
عن ليل هارون الرشيد .. وقصره ... المصبوغ بالعطر الندي الهائم
وعن المصابيح الملوّنة العيون .. ترش بالأحلام بيت الحاكم ..!

★

ومدينة تحت الثرى مطمورة .. ... ذهبية الحيطان .. والأبهاء
وغداً سنأخذها لنملأ بيتنا ... قمحاً نكدسه بغير عناء ..
وسأرتدي ثوباً جديداً ناصعاً .. ... واهتز شاربه من الخيلاء .. !!
وسأشتري كل الفواكه لابنتي .. ... والموز .. !فالتفت على استحياء
ماذا يكون الموز يا أبتي ؟!.. ويورق صوتها في جنة الاغراء ..!

★

ويموء قط في السقيفة حالم ... بالخبز فوق موائد السعداء
والنخل يخفق في حنان ناشراً ... أغصانه .. في القبة الزرقاء
وخوار ابقار تصعّد في السما ... يشكو اليها قصة الضعفاء ..!!

★

وترتدف اجنحة الطيور .. وترتمي ... في عشها فوق الذرى الخضراء
وهفا غرابٌ تائهٌ .. متنقل ... يطوي عقود النخلة السمراء
وانشق قلب الصمت حين تساقطت ... بعض الثمار الغضّة الحمراء
وجرى الصغار .. وراء طفل عابث ... خطف الثمار .. وغاب في الظلماء!

★

والليل يصغي لا يملّ حديثهم ... وتموج ظلمته مع الاصداء
.. وامتدصوت واهن متكسر ... هو صوت هذي الجدة العمياء
حسبت مدينتهم .. حقيقة واجد ... لامنية خلابة الاضواء
لا تذهبوا .. وتجعدت احزانها ... وتكوّمت في ذلة وشقاء
وأتى من الماضي السحيق حديثها ... معشوشباً كالغابة السوداء
واطلت الذكرى .. وراء خيالها ... وتجسدت اقصوصة البؤساء :
والآدميّة في القيود سجينة ... مظلومة .. تحيا بغير رجاء ..
وسياط فرعون تسوق أمامها ... زمر العبيد .. وامة التعساء
ولسوف يجلدكم .. وينهب كنزكم ... «والسجن يفتح فاه للفقراء» ..!
لا تذهبوا .. وبكت .. ولوّن صوتها الاشفاق وانهارت من الاعياء!

★

وانفض سامر ليلة شرقيـــة ... في الريف بين مواكب البسطاء
ومضيت اعصر من سنيني قطرة ... بيضاء في الافق البعيد النائي
وأسوق ايامي قطيعاً شارداً ... يعدو وراء قوافل الغرباء ..!

محمد فوزي العنتيل

من رابطة انهر الخالد

شنتان حتى تذكره وتنسى مار مارون ؟! مار مارون ، حررك من عبودية الطاغوت . خربت يا توم ، رجعت الينا تلفان ما فيك شعرة من الموارنة . »

وكان الناس يعجبون بحديث المستر توم ولكنه لما احتك بالشدياق سقط من عيونهم ، وقال واحد : « شخص مثل الشدياق حرام يموت . »

ولما تقهقر المستر ثانية في معركة الاشخاص ، راح يتحدث عن الاختراعات الحديثة فقال : « اليوم اخترعوا آلة تحكي وحدها ، مثلاً ، حديثنا الليلة ، تلقطه هذه الآلة وتراجعه لنا ساعة نريد . »

فلم يزد الشدياق على قوله : « الدنيا فيها كذب كثير . »

فاستاء توم وحلف للشدياق انه رآها وسمعها ، وكان نوى ان يحضر معه واحدة منها ولكنه جـــاء على عجل . ثم خبره عن الاوتوموبيل والبالون فاستولت على الشدياق الدهشة واصابه شيء كالذهول . وفتش عن منفذ فوجده فقال : « ربما انها صحيحة ، والا فكيف صعد مار الياس الى السما في مركبته النارية؟ . »

وطاب للسامرين ان يتحدثوا عن الآلة المسماة بالفونوغراف

صدر حديثاً

في سلسلة كنوز القصص الانساني العالمي

المواطن توم بين

رائعة الكاتب الاميركي الشهير هاوارد فاست

ترجمة الاستاذ منير البعلبكي

دار العلم للملايين

يسمع ولا يجادل ،وعيون الناس شاخصة اليه، وظلوا مستغربين سكوته العميق حتى رأوه يحل حبوته ويتمدد ويصيح :«ضعف الضو يا مرتا . »

ورأى الناس المصباح يزهر كما كان ، ولكن مرتا رفعت الفتيلة ففاض النور ، وبعد هنيهة صاح الشدياق : « مرتا ، الضو ضعيف يا جدي ، مخّطي السراج ، صبّي الزيت . »

وجاء دور النقل واخذ الجمهور يتلهّى بأكل التين والزبيب واللوز والجوز . كانوا يلغون ويلغطون ، والشدياق مشغول عنهم في انحلال جسده ، فهو يموت عضواً فعضواً . وكان المستر توم يفيض في التحدث عن عجائب اميركا والناس يصغون اليه مرتخية افواههم .

وفي تلك الفترة قال الشدياق بصوت كأنه خارج من قعر بئر : « اين الخوري ؟ »

فاقترب منه الكاهن فقال له : « اتت الساعة . صلوا جميعاً لاجلي ، صلوا يا اخوتي ، اغفروا لي من اجل المسيح . حلّلني يا محترم . »

فوقف الخوري على سلاحه منتظراً اللحظة الملائمة . واستحال البيت كنيسة . ركع الجميع يصلون ويرتلون طلبة المازعين ليعاونوا الشدياق على رحيله من هذه الدنيا ، وبصوت يكاد لا يسمع رتّل الشدياق وعيناه مغمضتان ، النشيد المريمي .

ان قلبي في هوى مريم ... لم يزل مشغوفاً مغرم
يرجو فرجا ... من ثقل الآثام

وانقسم الجمهور جوقتين مرتلين ، وسكت الشدياق ولكنه ظل يحثهم بهزة الرأس :

جرّني عملي لقطع الرجا ... ولم يبقَ لي قط ملجا
إلا مريم ... حسن الخلاص والنجا
زيت الشفا بلسم النقا ... خبز العبادة خمر التقى
يا سعد من في باب مريم التقى
تمام سعادتنا في الثبوت ... بعبادتك حتى نموت
هالويا ... ونحظى بالملكوت

ولم ينته النشيد حتى كان الشدياق قد انتهى ، فاستحالت السهرة مأتماً . وفيما هم يخلعون ثياب الشدياق ليلبسوه الثوب اللائق بمقابلة القديس بطرس عثروا على ورقة فيها وصيته ، فقرأها الكاهن على الجمهور :

١ – يهب مرتا بنت ابن اخيه بيته وما حوله من ارض وما فيه من متاع ، بشرط ان تأخذ ابن عمها متى .

٢ – يلتمس من غبطة البطريرك ان يحقق بعد موته ما حرمه إياه في حياته ، فتبنى كنيسة على اسم مار مارون وقد جعل لها وقفاً ضيعة اخرى بكاملها .

٣ – يقف ما بقي عنده من عقار على بناء مدرسة لأحداث الضيعة،ومن ريعها يدفع راتب المعلم ليدرسهم السريانية والعربية.

* * *

وأصبح الناس والشمس مكسوفة ، والضيعة في عتمة ، فارتفع الشدياق عندهم إلى مرتبة الطوباويين . وفيما هم يأكلون مأدبة الميلاد التي أعدها لهم الشدياق قال واحد، والكلام يزاحم الطعام : « بعدما رحت تطلعت صوب بيت الشدياق فرأيت الملائكة طالعين نازلين من البيت . »

وقال جاره : « وأنا رأيت كوكباً طلع من البيت وحلق ثم اختفى خلف الجبل . »

وقالت امرأة : « طول الليل ونحن نسمع أغاني وتراتيل وصنوجاً ونواقيس تدق في بيت الشدياق . »

وقال الخوري : «الشدياق قديس لا شك فيه ، فالشمس كسفت مرتين مثل هذا الكسوف : مرة يوم موت سيدنا يسوع المسيح ، ومرة اليوم . هنيئاً لنا صار عندنا قديس ، هو وحده يغل لنا ويدر علينا اكثر من الف وقف .. »

مارون عبود